نوعية الأغلفة النفسية والخيال الرمزي من خلال طريقة اختيار اللباس،

دراسة حالات عيادية على مجموعة من الطلبة الجامعيين

رشيد بلبسعي
جامعة الجزائر 2

Résumé :

Les vêtements représentent une partie importante et étendu de la personnalité et de la vie de l'individu, ils sont représentés en tant qu'enveloppe psychique à doubles fonctions protection de l'organisme et du psychisme, en rajoutons aussi ses fonctions imaginaires et symboliques, de cette façon son domaine dépasse le champ de la psychologie, la sociologie et le marketing, et aussi au-delà du domaine de la religion, la mode et l'influence de la culture locale. A travers nos observations quotidiennes, nous pouvons souligné que la société Algérienne n'est plus en harmonie comme elle était auparavant chez les générations précédentes , l'écart s'est élargit et s'est approfondit jour après jour, surtout quand il s'agit des étudiants universitaires , leur tenues vestimentaires se diversifies entre la séduction de la mode occidentale et le vêtement religieux ou bien le mélange entre eux .On va présenter dans cette recherche deux axes principaux ; le premier concerne la présentation succinct de quelques éléments théoriques concernant le vêtement d'un point de vu psychologique ,sociologique et religieux .Par contre le deuxième concerne la partie pratique dont on présente notre problématique et nos hypothèses qui sont discutées à partir de l'analyse des données pratiques sur cette population estudiantine, en utilisant l'entretien clinique semi – directif et le test du Rorschach ,et la techniqueAT9.

Mots clés : vêtement, enveloppe psychique, l'imaginaire symbolique et créatif, hypothèses de recherche, épreuves projectives.

ملخص :

يشكل اللباس جزء هام وواسع من الشخصية و حياة الفرد، فهو يمثل غلاف نفسي مزدوج الوظيفة بين الحماية العضـــوية والنفسية، زيادة عن وضيفته الرمزية والإبداعية، ولهذا تتعدى ميادينه من علم النفس إلى علم الاجتماع وتقنيات التســويق، كمـــا تتعدى أيضا مجالاته إلى الدين والموضة والثقافة المحلية. فمن خلال الملاحظات اليومية يمكننا أن نستنتج أن مجتمعنا الجزائري اليوم ليس كثير الإنسجام مثلما كان عليه منذ أجيال، فالهوة أخذت بالإتساع و التعمق يوما بعد يوم، خاصة عندما يتعلـــق الأمـــر بشريحة الطلبة الجامعيين فهم يتنوعون في لباسهم بين إغراءات الموضة الغربية و اللباس الديني أو المزج بينهما. سنقدم في هذا البحث محورين أساسيين؛ يتمثل المحور الأول في التطرق باختصار لبعض الأسس النظرية الخاصة بتناول اللباس عبر المنظور النفسي، الاجتماعي، الديني. أما المحور الثاني فإنه يخص الجانب الميداني الذي نطرح فيه التساؤلات مع طرح الفرضيات التي يتم مناقشتها عبر تحليل معطيات الجانب التطبيقي لخمسة عشرة طالب جامعي، باستخدام المقابلة العيادية النصـــف موجهـــة، رائـــز الرورشاخ، و تقنية AT9.

الكلمات المفتاحية:اللباس ، غلاف نفسي، الخيال الرمزي و الإبداعي، فرضيات البحث،اختبارات اسقاطية.

مقدمة

يعرف العالم المعاصر اليوم، تطورا ونمو حركي دينامي مستمر وسريع في كل مظاهر الحياة، مما لم يسبق لـــه مثيل من قبل، الثورة العلمية التقنية والإعلامية، منجزات الإنسان الحديثة والصناعية، التناقضات الحضارية وعواقبهـــا الاجتماعية المذهلة، السوق العالمية ومدى تأثيرها على الإنتشار الواسع لمختلف السلع والعلامات المسجلة...إلـــخ، كـــل هذا أدى إلى تغيـــر الرؤى حول فلسفة الحياة. فقد أصبح إنسان اليوم يركز إهتمامه أكثر حول البحث عن طرق جديـــدة لتحسين مستواه المعيشي، بعدما إقتنع بضرورة الإعتناء بنفسه وجسده ومظهره العام، سواءا تعلق الأمـــر بمســـكنه أو بيئته الطبيعية، محيطه الإجتماعي أو صحتة العامة...إلخ. و هكذا زادت حاجة الإنسان إلى تولي الاهتمـــام والاعتنـــاء بالمظهر الخارجي يأخذ شيئا فشيئا ميزته الخاصة في حياته اليومية المعاصرة، إذ أضحت الصورة و الشكل الذي يـــود أن يقدم أو يعرف بها أحد ما نفسه للآخرين شغله الشاغل أينما وجد.

إذن سعي الإنسان في المجتمع المعاصر للاهتمام بذاته وجسده، من خلال إعطاءه أهميـــة مركزيـــة للســـلوكات الشكلية والمظهرية. خاصة بعد تطور علوم الطب والصناعة والتكلونوجية، فبرزت عنده الحاجة أكثـــر نحـــو تحســـين ظروف العيش والتمتع بحياته، ومن مظاهر هذا الإهتمام بالصورة الخارجية والشكل الذي يميل في كثير مـــن الأحيـــان إلى الغلو، لاقتناء ألبسة معينة تناسبه، سواء كانت محلية، موضة غربية أو دينية...إلخ.

وقد يعود الشأن في هذا الاهتمام الكبيـــر بالجسد خصوصا المظهر الخارجي واللباس إلـــى الإنتشـــار الســـريع والمذهل لأشكال الموضات الجديدة من جهة، وتزامنا مع تناقص دور هيمنة السلطة الدينية المطلقة في توجيه الشـــؤون الإجتماعية (كدور الكنيسة و المسجد مثلا) من جهة أخرى، ولعل ذلك أن الناس أصبحوا اليوم أكثر حرية ممـــا كـــانوا عليه في السابق، فصاروا الآن يهتمون بأجسادهم عن قرب أكثر فأكثر، بعدما تضاءلت تدريجيا إلزاميـــة المؤسســـات؛ سواء الدينية أو الأخلاقية التي تفرض المزيد من القيود والمحظورات أو الموانع من خلال توجيهات دينيـــة وأخلاقيـــة صارمة، بالإضافة إلى ضغوطات الوالدين والمجتمع في تحديد أنماط معيشية معينة، فلم يعد الجســـد بعـــدها مصـــدرا للخطيئة والعار، بل على العكس من ذلك، فقد أضحى شيأ فشيأ، رمز من رموز التعبيـــر الحر عن الـــذات والإنتمـــاء الثقافي. لكن مع هذا فإن التظاهرات الدينية لم تفقد وزنها التقليدي المعتبر، فعودة اللباس الديني و إنتشاره علـــى المـــدى الواسع لدى بعض الناس خير دليل على ذلك، ففي المجتمع الجزائري مثلا، بالخصوص عندما يتعلـــق الأمـــر بالطلبـــة الجامعيين، الذين هم أكثر عرضة للتيارات الفكرية الدينية والعصرية في آن واحد، سواء فيما يتعلق بتأثرهم تارة بلباس الموضة أو بمختلف أشكال اللباس الإسلامي من جلباب وقميص نصف الساق...إلخ، أو تارة أخرى بالجمع بينهمـــا أي المزج بين الموضة و الدين.

إن كل هذه العوامل المذكورة جعلت من اللباس مؤهلا ليثيـــر إهتمام العديد من المختصين خاصـــة النفســـانيين والاجتماعيين على حد سواء، فلا شك أنهما شديدي الإهتمام لما يحدث للفرد والمجتمع من تغيرات وتطـــورات فاتحـــة مجال البحث في هذا الميدان، الذي عمل على إثراء التوجهات النظرية والتطبيقية لدى البـــاحثين فـــي جميـــع الميـــادين العلمية والتخصصات، بالخصوص ميدان التحليل النفسي، حتى أضحى على أنه من الممكن تعريف علم النفس المعاصر على أنه متوجه شيء فشيأ نحو سيكولوجية الجسد و المظهر.

سنقدم في هذا البحث محورين أساسيين؛ يتمثل المحور الأول في التطرق باختصار لـــبعض الأســـس النظريـــة الخاصة بتناول اللباس عبر المنظور النفسي، الاجتماعي، الديني. أما المحور الثاني فإنه يخص الجانب الميـــداني الـــذي نطرح فيه التساؤلات مع طرح الفرضيات التي يتم مناقشتها عن طريق تحليل معطيات الجانب التطبيقي.

سيكون تركيزنا أكثر في هذا البحث الخاص بموضوع اللباس على الجانـــب النفســـي، و ذلـــك يعـــود لطبيعـــة إختصاصنا المتمثل في مجال علم النفس العيادي.

المحور الأول: بعض المفاهيم النظرية الأساسية حول اللباس

I . اللباس في منظور علم النفس

1. اللباس و الغلاف النفسي والجسدي

يشكل اللباس وحده جزء هام و أساسي من حياة الشخص، ومن بين المظاهر الخارجية الأكثر قــوة وحضــورا. فهو يعطي دلالة خاصة للجســد والذات، فبمجرد إرتباط الجسد به تتكشف لنا من خلاله دلالات عديدة، فبواسطة اللباس على سبيل المثال، نستطيع أن نحكم على الفــرد من زاوية الهوية الجنسية على أنه ذكر أو أنثى، وعلى الكيفيــة التــي يعلن الفرد من خلالها عن تواجده وتمايزه عن الآخرين، وتصوره للعالم أو بمعنى آخــر فهــو جــزء مــن تكــوين شخصيته، وشكل من أشكال التعبير عن هويته. (GRIGNON. G.L, 2002, P 21).

يمكن تعريف اللباس في ميدان التحليل النفسي حســب مصطلاحات أنزيــو. د، في هذا الصدد، بالرجوع إلــى معطياته النظرية حول الأنا الجلدي والغلاف النفسي، إذ يقول في هذا السياق كون أن اللباس يمثل:

أولا: "غلاف" (conteneur) للجسد، مزدوج الوظيفة - بين الداخل و الخارج- فهو في نفس الوقت يضــمن الحمايــة العضوية للجلد ضد الاثارات الخارجية من جهة، كما يضمن أيضا الحفاظ على توازن حرارة الجسم الداخلية من جهــة أخرى.

ثانيا: "حاوي" (contenant) للجسد، يمكنه أن يخفي أو يكشف مضامين المحتويات الداخلية المتعلقة بإيقاظ و إشباع نزوة الفضول نحو إستكشاف الاختلافات الجنسية للطرفين. فهو مثلما يحمل في طياته معــالم الشــدة و المتانــة، القــــوة، الرجولة، يحمل أيضا معالم اللطف و النعومة، المرونة، الجمال الذي يثيره الجسد و الجنس الأنثــوي. (ANZIEU. D, et all, 1993, p. 37- 38).

فانطلاقا من المظاهر النفسية والجنسية التي ذكرها أنزيــو. د، وفي تركيزه على الأهمية الكبيــرة للجســد فــي حياتنا النفسية والعضوية، يبــرز لنا بسرعة سر قوة إرتباط اللباس بالجسد، والمكانة التي يحتلها في النفس، و يتضح لنا بسهولة فهم تطور وتعدد أشكاله وأصنافه التي نشاهدها اليوم، حيث أصبح اللباس يشكل لوحده مجالا إقتصاديا، صناعيا، حضاريا وثقافيا ضخما، سواء من حيث القمة في التجديد والحداثة، الإبداع، التنوع و الأصالة، بعدما كان في الماضــي ينحصر عموما في نوع واحد فقط تفرضه التقاليد و العادات أو سلطة معينة.

إضافة إلى أعمال أنزيو. د، فقد حاول بعض المحللين النفسانيين الآخرين توسيــع مفهوم اللباس، باعتباره مــن المكــونات الأساسية للصــورة الجسدية و صــورة الذات، يرى في هذا الصدد شيلــدر. ب. ، أن اللباس عبارة عــن امتــداد للصــورة الجسدية، ليقول في هذا الصدد أنــه: "بمجــرد ارتداء ثياب ما، فإنه ينــدمج مباشرة مــع الصــورة الجسدية للفرد، ويمتلئ بذلك بالليبيــدو والنرجسيــة" (SCHILDER. P, 1968, p. 220).

2.اللباس و الخيال الرمزي : يلعب الخيال الرمزي في اختيار نمط لباس معين دورا هاما، لا يستهان به، خاصة عندما يتعلق الأمر بميدان الخيال الإبداعي. إذ يساهم بصورة كبيرة في إعداد و اختيار الأشكال والتصاميم المناسبة والمتنوعة لمختلف أنواع الألبسة المستحدثة، على حسب الذوق، الميول والرغبات، وكذلك حسب التوجهات الفكرية والثقافية التــي يتبناها الأفراد والمجتمعات، وسواء تعلق الأمر بالطابع الفولكلوري المحلي والتقليدي أو الغربي أو الديني أو بالمزج بين هذه الطبوع فيما بينها. فقد زاد إذن الإهتمام أكثر فأكثر بإستحداث صناعة وتصميم الأقمشة خصوصــا بعــد الإنتشــار الواسع لوسائل الإتصال التكلونوجية الحديثة، كالأنترنات ومجلات الموضة، والقنوات الإعلامية المتخصصة، مع تطوير تقنيات الإشهار والتسويق...إلخ، حيث أثر ذلك على توسع الخيال لدى الزبائن وتفننهم في الإقتناء والمزج بين مختلــف الألبسة المتوفرة في الأسواق العالمية أو المحلية، مع تزويدهم بفرص إشباع المرتبط بظهور الأصناف الجديدة المبتدعة.

و"الخيال" كما يعرّفه ديران. إ، على أنه "يشمل جميع الحقل الأنتروبولوجي للصـــورة، والذي يمتد من دون تمييـــز بين ما هو لاشعوري إلى ما هو شعوري، من الحلم والهوام إلى المبني والفكـــر، وبإختصار من اللاعقلاني إلـــى مـــا هـــو عقلاني". (DURAND. Y, 1988, P.15).

فالخيال، يشغل حيزا كبيرا في النشاط العقلي لحياة الأطفال والراشدين على حد سواء. فالإنســـان أثنـــاء عمليـــة التخيل يستعين بالذاكرة، فهي تزوده بالصور الذهنية لأشياء واقعية، ولكنه يركب منها مركبات لا وجود لها في الواقـــع. فالخيال إذن، ليس مجـــرد نقل للصورة إلى الذهن من الواقع، بل يستغل أيضا عناصر هذا الواقع في إبـــداع شـــيئ لا وجود له على هذا النحو. فعلى الرغم من أنه يستمد مادته من الواقع، إلا أنه متحـــرر مـــن قيـــوده. (المليجـــي. ع/م، المليجي. ح، 1972، ص202-203-205).

وعميلة التخيل بحد ذاتها، هي فعل إرادي وشعوري، يقوم بها شخص ما وفق متطلباته ورغباته الشخصية، لكن العناصر المكونة لهذا الخيال، أي مضامينه ومحتوياته ذو دلالة لاشعورية، عميقة، لا يمكن أن يعيها الفرد بسهولة.

وبذلك يعتبر اللباس مؤشرا قويا للدلالة والتعبير عن أنماط السلوكات المظهرية وعن طرق التواصل الرمزيـــة. وبالتالي فالأشكال والصور المتعددة والمختلفة للتمثيلات الثقافية، الرمزية، الإبداعية، الفكرية، الحضارية، الاجتماعيـــة، الدينية، الاقتصادية والصناعية، خير دليل لتفسير تعقد موضوع اللباس وضرورة دمـــج الطـــرح النفســـي بالإجتمـــاعي والأنتروبولوجي في هذا المجال، فهو يلخص لنا رموز العلاقات التي تربط الأفراد والمجتمعـــات بشـــعائرهم الدينيـــة وعباداتهم الطقوسية من خلال نمط وشكل اللباس الخاص بكل فرقة من الفرق أو مذهب من المذاهب، كما أنـــه وســـيلة للتعبيـــر عن الإنتماء الثقافي، الإجتماعي و الإقتصادي، إذ أن لكل مجتمع له نمط من اللباس خاص بـــه ســـواء كـــان تقليدي أم عصري أو بالمزج بينهما. ومنه توجب علينا التطرق فيما يلي لتنـــاول موضـــوع اللبـــاس عبـــر المنظـــور الاجتماعي.

II . اللباس في منظور علم الاجتماع : بالرغم من أن الفرد البالغ، الراشـــد، يختار بكل حرية ما يريد أن يلبسه، حيث يلعب لديه العامل الذاتي في إقتناء ألبسة معينة حســـب ذوقه الخاص وما يراه مناسبا له دورا أوليا، ومع ذلك فإنه مـــن الصعب في الكثير من الأحيان، فصل اللباس عن إطاره الاجتماعي، سواء من حيث أهمية تأثير التقليـــد، المحاكـــاة، البيئة أو دور التنشئة الإجتماعية من خلال مؤســـساتها الفاعلة: التـــربوية، الأخلاقية، الأســـرية والدينية...إلـــخ، فـــي التأثير على عملية إختيار اللباس، إذ هو في أول الأمر شعار أو علامة خاصة تتخـــذها جماعة ما أو فئة مـــن الفئـــات للتعبيـــر عن نفسها، وفي هذا الصـــدد يقـــول بارث. ر، في كون أن "اللباس في نفـــس الوقت هو موضوع تـــاريخي وسوسيولوجي، إذ يعتبـــر ضمنيا دال خاص على مدلول عام (عصر، بلد، طبقة إجتماعية)". (BARTHE. R, 1957, p. 4).

فأهم ما يميز مجتمع ما عن غيره من المجتمعات هو تميزه الثقافي وطابعه الخاص وكل ما يحملـــه مـــن بعـــد حضاري، تضبطه تقاليد وقيم تجعله لا يشابه غيره و أي تغير فكري أو ثقافي في المجتمع سيـــنعكس حتما على مظهر الرجل و المرأة على حد سواء.

لكن ما يجب الإشارة و التنبيه إليه، هو أن تفسير اللباس من وجهة النظر الاجتماعية غير كافي في التعرف على دور الدينامية اللاشعورية المتعلقة بالجسد والذات لدى الفرد. لهذا فإنه لا يمكن عـــزل اللبـــاس عـــن بنـــاء وتركيـــب الشخصية، كما لا يمكن إهمال دور السيكولوجية العلائقية والمجتمع. وإن كان اللباس تعبير دينامي لاشعوري للرغبـــات والنزوات المكبوتة وعن طبائع الأفراد وهوياتهم من جهة، فهو من جهة أخرى ناتج عن التصورات التي يحدثها المحيط الثقافي والإجتماعي من خلال إستغلال المعطيات التي يوفرها التوظيف النفسي والخيال الإبداعي لكل فرد منا.

في نفس الإطار نجد الموضة التي تلعب هي أيضا دورا كبيرا في توجيه الميول نحو الألبسة المستحدثة، والتي هي مرتبطة بالتركيبة النفسية للفرد مع تأثير الجانب الاجتماعي.

- **اللباس و الموضة:** تعد موضة اللباس من أكثر الموضات انتشارًا وأكثرها تقلبًا، فما أن تظهر صيحة جديدة حتى تأخذ مكانها صيحة أخرى بسبب العدوى التي ترافقها. (عين المرة. ف، 2007، ص70).

وإن للنزوات الجنسية دورا أساسيا في نظام تصوراتنا ولاشعورنا، إذ حاول بعض المحللين النفسانيين ربط ظاهرة لباس الموضة بالإثارة الجنسية وركزوا اهتمامهم خاصة على موضات اللباس المتعلقة بالجسد الأنثوي ودوره في توجيه سلوك الأفراد منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا. ونستعين بالذكر بكل من فولجال، ج. ك و ليشيوني أ.ل (1983)، وغيرهم، ممن يؤكدون على تأثير العامل الجنسي في توجيه الموضة.

وترتبط الموضة ارتباطا شديدا بالحياة العصرية الحديثة والمعقدة التي رافقها تجمع السكان في المدن الكبرى، حيث يهتم أكثر فأكثر بحياتهم الجنسية، فظهرت الحاجة لديهم للاعتناء بالجسد، واللباس مما أدى إلى تغير الحياة الاجتماعية، فازداد بذلك الميل إلى اقتناء كل ما هو جديد.

فتميزت بذلك الموضة عند الطبقات الراقية، الميسورة الحال وذات المكانة المرموقة في المجتمع، والتي كثير ما يميل أصحابها إلى خلق أساليب جديدة تميزهم عن غيرهم، سواء في اللباس و في آداب اللياقة أو في مجال التسلية و الفنون، لأن "الموضة ترتبط عادة بنفقات باهظة لا يقدر عليها عامة الناس، بل تخص الطبقة التي تستهلك النوعية الرفيعة، و كل ما يتعلق بالأناقة والرفاهية في الحياة" (VANIER H. 1960, p. 26).

و أخيرا تُعتبر فئة الشباب الجامعي أكثر عرضة للتيارات الدينية والموضة العالمية بحكم موضعهم العلمي والاجتماعي الهام، وهذا بالإضافة إلى الدور الذي يلعبه الفضاء الجامعي في تشجيع الشباب لإتباع آخر صيحات الموضة، من خلال التقليد، و الإعلام، حيث يتفننون ويتباهون في تقديم آخر الموديلات والنماذج الجديدة للألبسة الشرقية والغربية، على أنه النموذج الأرقى والأمثل في الأناقة والجمال والتمدن.

III . اللباس في منظور الشريعة الإسلامية: بالإضافة إلى أهمية العاملين النفسي والإجتماعي في تحديد أشكال اللباس المتنوعة، فإنه من جهة أخرى، يلعب النموذج الديني دورا مركزيا لا يمكن أن ينكره أي ملاحظ، فالدين: ينظم حياة الأفراد، ويربطهم عاطفيا بشعائرهم الدينية، ويكاد يكون عند البعض المنهج الوحيد والنهائي لحياتهم، تصرفاتهم، سلوكاتهم وحتى في إختيارهم للباس.

وفي الواقع، لكل ديانة، شرائعها، فلسفتها ومناهجها، وفي هذا الصدد فإن الدين المُتبنى لدى أغلبية المجتمع الجزائري، هو الدين الإسلامي، والذي يسعى بدوره إلى الحفاظ على فرض القيم الدينية والأخلاقية على أعضاءه وتنظيم العلاقات الإجتماعية ككل، ويعمل جاهدا لسد باب التغيير والتجديد بحجة لا بدعة في الدين، وينهي عن مخالفة أوامر الشرع وإرتكاب نواهيه، محددا بذلك السلوكات التي يجب للمسلم أن ينتهجها في حياته بدقة متناهية، وفق ما جاء به القرآن الكريم و السنة النبوية.

فيما يخص اللباس في الإسلام، فهو فطرة إنسانية و إلزام رباني، يدخل ضمن مبدأ ستر العورة، إذ فيه نهي صريح للميل نحو العرى و قطع الطريق أمامه، لقوله تعالى في صريح الآية ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم وريشًا ﴾ (القرآن الكريم، سورة الأعراف. الآية26).

فيما يخص لباس المرأة المسلمة، يقول ناصر الدين الألباني في أحد فتواه، وهو من أحد كبار العلماء المعاصرين المتخصصين في السنة النبوية والإفتاء، يقول: "فمن الواجب على المرأة البالغة أن تحجب نفسها عن ما

يثيــر الغريزة والتهيــج الجنسي الذي يؤدي إلى الفساد والإنحلال الخلقــي، ويشترط على لباس المرأة المسلمـــة إذن في وجوب استعابــه لجميع أعضاء البدن ما عدا الوجــه و الكفيــن.(الألباني. م.ن.د. ط،3، 1969، ص15).

أما فيما يخص لباس الرجال فهو داخل في ضرورة الإقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه و سلم، والحــث علــى مخالفة الكفار والمشركين في نوع وطريقة لباسهم الخاص بهم، وعملا بقوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أســوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيرا﴾ (القرآن الكريم، سورة الأحزاب. الآية21).

المحور الثاني: الجانب الميداني من البحث

طرح إشكالية البحث: إذن انطلاقا من كل ما سبق، فقد ساعدنا اللباس على فهمنا للفرد من حيث بنيته الشخصية السوية والمرضية، هويته الجنسية وتركيبته الإجتماعية، توجهاته الثقافية والإقتصادية، في التعرف على السير النفسي والدينامي للطالب الجامعي بواسطة تقنية المقابلة العيادية النصف موجهة، حيث أعطت لنا فكرة عن كيفية نظرته لنفســه وللعــالم الخارجي. كما دلنا اللباس على نوعية غلافه النفسي عن طريق استعمال اختبار الرورشاخ، ليكون إما غلافا هشا ســهل الاختراق أو صلب صعب للاختراق أي حاجز للاتصال أو متين أي لا نفاذي ولا صلب تماما، وقد ساعدنا أيضــا فــي التعرف عن كيفية تسيير الطالب للصراعات التي تحييها الوضعية الإسقاطية لرائز(AT9) من خلال القدرة أو العجــز عن إدماج الواقع الإدراكي و الخيالي في السير العام للشخصية عن طريق الرسم.

مما سبق تبادر لنا طرح التساؤلات التالية:

1- ما هي نوعية الدينامية النفسية الشعورية و اللاشعورية التي جعلت من الطالب الجامعي يختار لباس معين؟ ســواء كان هذا اللباس ديني، موضة غربية، أو المزج بينهما؟

2- ما هي طبيعة الغلاف النفسي والخيال الرمزي عبر نوع اللباس الذي يرتديه الطالب الجامعي الجزائري؟

باتخاذ هذه الإشكالية منطلقا لبحثنا وبالاستناد على المعطيات النظرية التحليلية؛ خصوصا على أعمال أنزيــو. د. حول الغلاف النفسي و أعمال ديران. إ. حول الخيال الرمزي و الإبداعي- وملاحظاتنا الميدانية- خلال مرحلة ما قبــل التحقيق، حاولنا صياغة الفرضيتين التاليتين :

الفرضية الأولى : تتمثل الدينامية النفسية الشعورية واللاشعورية في اختيار الطالب الجامعي للباس معين ســواء كــان ديني، الموضة أو المزج بينهما، حيث تتميز كل فئة من الطلبة كما يلي:

أ-فبالنسبة لفئة الطلبة ذوي اللباس الديني ، ينجحون باختيارهم هذا في التخفيف إلى حد ما من حدة الصــراع النفســي أمام إشكالية الإختيارات، من خلال الربح الثانوي الذي يحققه لهم التوجه الديني من هدوء نفسي نسبي وحماية مــن قسوة حياتهم الاجتماعية، إلا أنهم يضحون بأنفسهم بالتقوقع في نموذج واحد و وحيد يجعلهم بعيدين عــن متطلبــات الحياة العصرية، فيتميزون بالجمود في النشاط الإجتماعي والثقافي، وهم بذلك أكثر عرضة للإكتئاب كلمــا اقتربــوا من الإنفتاح نحو الحياة والتمتع بمظاهرها الدنيوية.

ب-وبالنسبة لفئة الطلبة ذوي لباس الموضة الغربية ينجحون في التخفيف من وطأة الصراع النفسي لكن خارج الإطــار الذي يمنحه الدين، فهم يعلقون آمالهم في الحياة ويجعلون لها معنى ومغزى من خلال النشاطات الإجتماعية والثقافية المتعددة (رياضة، فن، موسيقى، علم...إلخ)، وهم بذلك أكثر دينامية، لكن هذا مرهون بالبحث عن فرص تضمن لهم نجاح نسبي في الحياة.

ج-أما بالنسبة لفئة الطلبة ذوي اللباس الذي يجمع بين اللباس الديني والموضة الغربية، هناك حدة في الصراع النفســي وتأزم في الهوية الثقافية والإجتماعية وفشل في اختبار الاختيارات للألبسة، نتيجة الوقوع في الخلط بــين توجهــات

الحياة المتناقضة، مع أنها تتميز هي أيضا بالدينامية و النشاط المزدوج بين الحياة العصرية والدينيــة، لكنهــا أكثــر عرضة للإضطراب في الهوية.

الفرضية الثانية : عبر طريقة اللباس، تتحدد طبيعة الغلاف النفسي والخيال الرمزي كما يلي؛

أ- إما صلبا وقويا، أي على شكل حاجز سطحي صلب، مانع و حائل الفرد والعالم الخارجي، معرض للاختنــاق فــي صورة غلاف مغلق بدون مسامات من جهة. ومن جهة أخرى يلجئ الفرد إلى الخيال الرمزي والإبداعي من أجــل التخفيف من وطأة الإنغلاق والجمود من خلال فتح مجال للخيال الديني في إشباع الرغبات المكبوتة.

ب- أو يشكل غلافا نفسيا حاجزا دفاعيا هشا وضعيفا، أي نفاذي (مفرط المسامات)، وسهل الإختراق، في صورة غلاف مفتوح بدون حماية يعرض النفسية دائما إلى خطر الاختراق من جهة.

ومن جهة أخرى يشكل الخيال الرمزي والإبداعي تعويضا لهذه الهشاشة حيث يلجئ إليه الطالب لسد هذه الثغرات.

ج- أو متينا أي لا صلب تماما ولا نفاذي تماما، حيث نتوقع متانة حواجز الاتصال، مرونة المرور للتصــورات مــن الداخل إلى الخارج و من الخارج إلى الداخل، كما يمكن أن يكون هذا الغلاف المتين من حين لآخر مؤشــرا علــى التذبذب والتناقض والميل المبهم للقيم و الهوية الجنسية والثقافية من جهة. ومن جهة أخرى سيكون الخيال الرمــزي والإبداعي محاولة لتجاوز هذا الصراع والتخفيف من حدته.

سنحاول فيما يلي و باختصار تقديم الجانب المنهجي للبحث من أجل مناقشة الفرضيات ؛

مجموعة البحــث : تم انتقاء مجموعة البحث بالاعتماد على متغير واحد أساسي والمتمثل في "اللباس"، الذي خص ثلاث أنواع -إسلامي شرعي، موضة غربية، المزج بين اللباس الإسلامي الشرعي والموضة الغربية- لتنــقسم حينئذ عينــة البحث إلى ثلاث مجموعات متكافئة العدد، حيث تشمل العينة الكلية (15) طالب جامعي من مختلف التخصصات العلمية و البيئة الاجتماعية و التوجهات الفكرية على النحو التالي:

المجموعة الأولى: ذكور و إناث المتمثلين في لباس إسلامي شرعي.

المجموعة الثانية: ذكور و إناث المتمثلين في لباس موضة غربية.

المجموعة الثالثة: ذكور و إناث يمزجون بين اللباسيــن أي الاسلامي الشرعي والموضة.

المنهج المتبع في البحث: إعتمدنا في بحثنا على المنهج العيادي الذي يهدف إلى معرفة خصائص وأنماط السير النفسية للأفراد من خلال رؤية شاملة ومتكاملة، وذلك تبعا لخصوصية كل طالب جامعي من خلال التحليل النــوعي و الكمــي لإنتاجه الإسقاطي الذي يدلنا عن بعض محتويات اللاشعور، وكذلك من حيث طبيعة غلافه النفسي و خيالــه الرمــزي إنطلاقا من نوع اللباس الذي يرتديه كل طالب على حدى.

أدوات البحث: حاولنا في دراستنا الحالية استعمال ثلاث أدوات بحث عيادية ؛ واحدة منها تتمثل فــي تقنيــة "المقابلــة العيادية" و أداتان عياديتيان إسقاطيتان متمثلتان في "رائز بقع الحبــر" (رورشــاخ) و "اختبــار أنتروبولــوجي ذي (9) عناصر" (AT9). سنحاول فيما يلي تعريف كل تقنية ، بطريقة موجزة؛

- **المقابلة العيادية النصف موجهة:**ساعدتنا محاور المقابلة النصف موجهة، - بعد تعديلها و تنقيحهــا عبــر قيامنــا بالمرحلة الاستطلاعية لما قبل التحقيق-، و بعد قبول المبحوث مشاركته في هذا البحث، من فهــم ســيرورة الطالــب الجامعي و تحليل ديناميكيته النفسية الشعورية واللاشعورية وتصوراته للعالم الخارجي و موقفه منه.
- **رائز الرورشاخ** :اعتمدنا على رائز الرورشاخ لمساهمته الكبيرة في إمكانية التعــرف على الديناميكيــة الشخصــية بأبعادها المختلفة، فقد أعطى لنا صورة دقيقة عن التنظيم العقلي لدى الفرد، كما ساعدنا في التعرف على نوعية الغلاف النفسي والجسدي لدى الطالب الجامعي.

- **اختبار أنتروبولوجي ذو تسعة عناصر(AT 9) :** ساعدنا هذا الإختبار الإسقاطي، من خـــلال صـــبغته وجودتـــه الأنتروبولوجية الأصيلة التي يتميز بها على دراسة الخيال إستنادا على مفهومي الخيال الرمزي والإبداعي، وقد سمح لنا بالتنقيب والتعرف على طريقة تسيير الواقع الإدراكي والخيالي من خلال الرسم المُنجز من طرف الطالب الجامعي.

ملخص نتائج البحث: سنعتمد فيما يلي على الفرضيتان المنصوص عليهما من قبل، حيث سنقوم بمناقشة كـــل فرضـــية على حدا؛

- **الفرضية الأولى:** قد أسفرت نتائج المقابلة وتحليل الاختبارين الإسقاطيين على وجود فروق نوعيـــة بـــين الفئـــات الثلاثة ؛

قد كانت إذن نتائج المقابلة لدى فئة الطلبة ذوي اللباس الإسلامي سواء كانوا ذكورا أو إناث، ذات محتوى فقيـــر و إجابات قصيرة و محدودة، يعاني فيها الطالب المبحوث من الكف النفسي والفكري معا، حيث يغلب علـــى حـــوارهم طول فترات الصمت، وإختصار الكلام، وإكتفائهم باللجوء للمرجعية الدينية في نظرتهم للحياة والعالم، ومع كل موقـــف يتخذه الطالب، كما لاحظنا على مدار محاور المقابلة كون أن تصورات اللباس، وإختيار أنواع الألبسة لا يكـــاد يخـــرج عن الدائرة التي وضعها الدين وكأننا أمام أشخاص ذوي امتثال عالي للمتطلبات الدينيـــة دون وجـــود أي أثـــر للحيـــاة الهوامية الداخلية، و لهذا فقد تميزت فئة الطلبة ذوي اللباس الديني بمحدودية الاختيارات من خلال ركود وجمود نفســـي مع غياب الدينامية وضيق المجال العلائقي وتجنب الدخول في صراع مع الذات والقيم الدينية و الاجتماعية، باصـــطناع نموذج و مرجع ديني صارم وواقي أمام كل تيارات التغيير و الموضة و الخوف من التفتح على مجالات الحياة.

دلـــت نتائج المقابلة لدى فئة الطلبة ذوي لباس الموضة الغربية عن تعدد معاييـــر اختيارهم للباس، وذلك فـــإن هذه الفئة بالمقارنة مع الفئة الأولى، فإنها تتمتع بقسط كبير من الحرية في إختيار اللبـــاس، ومنـــاهج الحيـــاة والثقافيـــة المختلفة، إذ هي لا تنحصر في معيار واحد في إختياراتها، بل تنوع في إقتناء أشكال الألبسة المتنوعة حسب المناسبات. لكن مع هذا فقد كانت مشاعر الذنب في بعض الأحيان قوية عندما يحاول الطالب الارتباط بالتصورات الدينيـــة حيـــث تتجلى مظاهر الخوف من العقاب واللعنة من الله من جهة و من المجتمع من جهة أخرى، لذا فهو يحاول تجنـــب هـــذه التصورات مقابل الاستثمار في النشاطات الفنية، الثقافية، الاجتماعية، الرياضية و الهوايات...الخ،التي تســـطر فعاليـــة ميكانيزم التسامي. كما سطرنا أيضا فاعلية هيئة الأنا الأعلى الذي يقوم بدور الرقابة و التأنيب، و الـــذي يحـــل محـــل الشعور الديني، فيغلب على هذه الفئة الصراع النفسي بين القيم الدينية الإسلامية والثقافة الغربية اللائكيـــة، لكـــن هـــذا الصراع لا يصل إلى درجة القوة والشدة ليجعل الطالب يشكو من اضطراب فـــي الهويـــة أو اضـــطراب فـــي واقعـــه الاجتماعي، مع ميله نحو التفتح البناء و الثري مع رفض الانغلاق و التقوقع.

دلت نتائج المقابلة لدى فئة الطلبة التي تمزج بين الدين والموضة على مدى تأثير الميول الفرديـــة والإجتماعيـــة والإقتصادية والجمالية والدينية، كلها تمثل مصادر لإختيار اللباس، إلا أن هذه الفئة تميزت بنوع من والتذبذب في الآراء والمواقف، إلى حد التناقض بين المظهر والاعتقاد، مما يمكن أن يدل على مدى تخبط هذه الفئة في حدة الصراع النفسي الداخلي التي تُثيرها إشكالية الإختيارات والتوفيق بين الميل نحو التحديث و العصرنة وبين الحفاظ على الهوية الإسلامية وطقوسها اللباسية، فهي تعيش قي واقع نفسي يسوده الخلط ومظاهر القلق مع اضطراب في أنظمة القيم والهوية الثقافية والدينية، مما يغلب على الطالب اللاإستقرارية، ودوامة التغير الغير منظم، حيث تُسيره الأحداث مُتخذا نحوها مواقـــف متناقضة.

- **الفرضية الثانية:** فقد كانت إذن نتائج الرورشاخ لدى فئة الطلبة ذوي اللباس الإسلامي على بروز لمشـــاعر جســـد مُذنب-غلاف المعاناة- (إغراء بالإخفاء من خلال إعطاء دلالة للآخر في صورة نقـــاء روحـــي وجســـدي) و بالتـــالي يستدعي ذلك حماية الجسد من قوة النزوة الجنسية الداخلية باصطناع قماش يقوم بوظيفة الغطاء للجسم، حيث لا يضـــفي

هذا الغطاء طابعا جنسيا. إذ يمثل دفاعا قويا وصلبا (Défense rigide) بغرض الحماية من هشاشة الغلاف النفسي والحدود الجسدية. إذ يشكل غلافا صلبا، صعب الاختراق يعززه لباس من النوع (المغلق) كحاجز إتصال بين الذات والعالم الخارجي...الخ، ومع هذا، فمن الممكن في بعض الأحيان أن لا يضمن الحماية الكافية من النزوات الجنسية الجامحة، مما يُسبب إختناق وكف نفسي (Inhibition)، ومما يوحى كذلك إلى سوء تقدير المبحوث لصورته الجسدية وجعلها مصدرا للخطيئة، والقلق والاكتئاب، من خلال تقليص العلاقات الإنسانية و تجنب الاختلاط الجنسي.

أما فيما يخص نتائج رائز(AT9) لدى نفس الفئة، فقد كانت نوعا ما أكثر ثراء مقارنة مع نتائج الرورشاخ. ليشكل الخيال الرمزي والإبداعي مسرحا مناسبا، لفئة اللباس الديني حيث يلجئ إليه الطالب لإشباع ميوله بإستثمار العالم الروحاني والمشاهد الدينية التي نجدها متوفرة بكثرة في هذا الرائز من خلال رمزية الغار، السيف، النار، الماء...إلخ. مقابل الإدراكات العقلية. ولهذا فقد كان اللجوء إلى الخيال الديني كتعويض عن الكبت النفسي و الجنسي.

دلت نتائج الرورشاخ لدى فئة الطلبة ذوي لباس الموضة الغربية، من حيث أنها تميزت بالتفتح نحو العالم الخارجي مع بناء مُوحد للصورة الجسدية، مع اكتمال صورة الذات والاهتمام بالحياة العلائقية وبالعالم الداخلي والخارجى معا، لكن طبيعة الحدود النفسية والجسدية تميزت هي الأخرى بالهشاشة وسهولة الإختراق، خاصة أن بعض المبحوثين لم يستثمروا مجالا فعالا في حياتهم كتعويض للمواضيع المفقودة . ولهذا فإن كان الغلاف النفسي متين ظاهريا، لكنة ضعيف من حيث وظيفته لضمان الحماية الكافية من الصدمات و أزمات الحياة، وقد كان يتخذ لدى البعض منهم شكل تعويض عن البرودة الجنسية من خلال اصطناع قناع التحضر و التمدن.

أما فيما يخص نتائج رائز(AT9) لدى نفس الفئة، جاءت هي الأخرى ثرية و غنية، و هي تشكل وسيلة دفاعية ضد مشاعر الذنب، فقد كان الخيال الذي أنتجته الوضعية الإسقاطية من خلال عناصر رائز (AT9)، تعويضا عن الثغرات التي ظهرت في رائز الرورشاخ، من خلال التركيز على الشرح المكثف لهذه العناصر، و بالتالي محاولة ناجحة في تجاوز مشاعر الخوف و الذنب باللجوء للخيال الإبداعي والفني.

فيما يخص فئة الطلبة ذوي اللباس الذي يمزج بين الإسلامي والموضة، يمثل شكل احتدام الصراع بين القيم الدينية والأخلاقية والنزوات الجنسية، فكان الحل حينها السعي في إرضاء الطرفين أي محاولة التسوية بين الطرفين لما هو ديني والموضة معا. لذلك فهو يمثل ظاهريا غلاف متين ولكنه هش لا يضمن الحماية الكافية.

أما فيما يخص نتائج رائز(AT9) لدى نفس الفئة، فقد كان اللجوء إلى الخيال الرمزي والإبداعي وسيلة فعالة للتخفيف من حدة الصراع التي يعاني منه أصحاب هذه الفئة، و بالتالي فقد حاولت التعويض من مشاعر الذنب تجاه الموقف الديني المتذبذب، من خلال إنتاج خيالي ثري و غني نسبيا، مما يتيح للطالب الإمكانية والقدرة على التخفيف من حدة الصراع ووطأته مع التحقيق النسبي للأمن والاستقرار الداخلي.

خلاصة

كلما تعقد المجتمع، كلما زادت المظاهر المرضية فيه و كلما اشتد شعور الأفراد بالحاجة المُلحة في مساعدتهم لفهم أنفسهم فهما صحيحا من أجل التوافق و التكيف على المستوى الداخلي والخارجي. فالمجتمعات الحديثة متقدمة كانت أو نامية معرضة بشكل مباشر أو غير مباشر للظروف والعوامل المسببة للاضطراب النفسي، مثل الضغوط الاجتماعية والمعيشية، التغير السريع للقيم وتناقضها، التمزق، الوحدة والضياع، كل ذلك قد يدفع الكثيرين إلى الاستجابة لهذه العوامل إستجابة غير ملائمة أو بالأحرى غير تكيفية، فيسقطون في دائرة المعاناة النفسية، حينئذ يستعير الشخص خصائص و سلوكات بعيدة عن ذاته على شكل الظهور بأقنعة مزيفة أو التميز بغلاف نفسي هش.

تبين لنا من خلال دراستنا أن الاختلاف في اللباس يؤدي إلى إختلاف في الآراء تبعا للرمزية الثقافية والعقائدية التي يمكن أن يحملها نمط معين من اللباس. كما استنتجنا أن الشريحة الطلابية تتخبط بين نوعين من المعاناة؛ إما جمود و صلابة أو قلق و صراع، لذلك فقد باتت عملية الاختيار الألبسة ، اختبار صعب بالنسبة للفئات الثلاثة؛ لأن ما تتطلبه هذه العملية من نضج نفسي وفكري و حل للصراعات الطفلية القديمة كلها خصائص يفتقد إليها أفراد مجموعة بحثنا، مما قد يؤثر سلبيا على معاشهم النفسي ونوعية أغلفتهم النفسية والجسدية، وقد يمس لدى البعض الآخر خيالهم الرمزي و الإبداعي بالكف والفقر في الإنتاج الخيالي.

وخلاصة القول، هو أنّ هذه الدراسة حول لباس الطالب الجزائري أكدت فرضيات بحثنا، لكن هذا لا يعني أنها ليست عُرضة للنقد، لأن نتائج أي بحث علمي تبقى نسبية، غير ثابتة ومطلقة نظرا للحجم الصغير لمجموعة البحث المدروسة، التي لا تمثل المجموعة الأم أي كل الطلبة الجزائريين.

كما يمكن أن تفتح هذه الدراسة المجال لدراسات لاحقة حول نفس الموضوع، أو حول موضوع أعمق، حيث يبقى من الممكن التعمّق أكثر في دراستنا هاته، و ذلك انطلاقا من نفس المجموعة المعتمدة في البحث، للتعرّف على التغير الإجتماعي وصداه النفسي على إختيارات الطلبة الجامعيين بعد الأزمة السياسية في الجزائر من1992 إلى يومنا هذا ، و بالتالي يشكّل ذلك موضوعا آخر للدراسة.

قائمة المراجع باللغة العربية

1- القرآن الكريم.

2- الألباني. م.ن.د. (1969).حجاب المرأة المسلمة في الكتاب و السنة. الجزائر: المكتب الإسلامي للطباعة و النشر.

3- فتيحة ،ع.م. (2007).لباس الفتاة الجزائرية. دراسة ميدانية في وسط طالبات جامعة سعد دحلب. مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة البليدة، الجزائر.

4- المليجي. ع/م، المليجي. ح. (1972).النمو النفسي. لبنان، بيروت: دار النهضة العربية، للطباعة و النشر.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

5- Anzieu, D. , et all. **(**1993). Les contenants de pensée. Paris : Dunod.

6-Barthe, R. (1957). Histoire et sociologie du vêtement. Annales quelques observations sociologiques, N° 3,3-10.

7- Durand, Y. (1988).l'exploration de l'imaginaire. Paris : bibliothèque de l'imaginaire.

8- Grignon, J.L. (2002). La chirurgie esthétique. Paris : Robert Laffont.

9- Luccioni , E.L. (1983). La robe, essai psychanalytique sur le vêtement. Paris : Seuil.

10- Reuchlin, M. (1996). Introduction à la recherche en psychologie. Paris : Nathan Université.

11- Schilder, P. (1968). L'image du corps. Paris : Gallimard.

12- Vanier, H.(1960) . La mode et ses matières. Paris : Armond Colin.